قال البيضاوي ولعله عبر عن الصلاة بار كانها الدلالة على ان كل واحد
منها مستقل باقتضا ذلك كيف وقد اجتمعت **واذن في الناس** اي اعلمهم
وناد فيهم **بالحج** وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة المخصوصة
بالمشاعر المخصوصة وفي المامور بذلك قولان احدهما وعليه اكثر المفسرين
ان ابراهيم عليه السلام قالوا لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له اذن في
الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتي قال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد
ابراهيم الصفا وفي رواية اخرى ابا قبيس وفي اخرى على المقام قال ابراهيم
كيف اقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو اول من لبى وفي رواية
صعد على الصفا فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق
فسمعه ما بين السما والارض فما بقي شي سمع صوته الا اقبل يلبي يقول لبيك اللهم
لبيك وفي رواية اخرى ان الله يدعوكم الى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم
من النار فاجابه يومئذ من كان في اصلاب الرجال وارحام النسا وكل من وصل
اليه صوته من حجر او شجر او ابله او تراب قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج احد حتى
تقوم الساعة الا وقد اسمعه ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين
او اكثر فيحج مرتين او اكثر بذلك المقدار وفي رواية فنادى على جبل ابي قبيس يا ايها
الناس ان ربكم بنا بيتا واوجب الحج عليكم اليه فاجيبوا ربكم والتفت بوجهه
يمينا وشمالا وشرقا وغربا فاجابه كل من كتب الله له الحج من اصلاب الرجال وارحام
الامهات لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما امر الله ابراهيم بالاذان تواضعت
له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى القول الثاني ان المامور بذلك هو
النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن واختاره اكثر المعتزلة واحتجوا عليه
بان ما جا في القران وامكن حمله على ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المخاطب
به فهو اولى لان قوله تعالى واذ بوانا تقديره واذكر يا محمد اذ بوانا فهو في حكم المذكور
فاذا قال تعالى واذن فاليه يرجع الخطاب امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع
روي عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الامر **ياتوك** اي ياتوا بيتك
الذي بنيته لذلك مجيبين لصوتك باذنك سامعين طايعين مخبتين
خاشعين من اقطار السموات والارض كما يجيبون صوت الداعي من قبلنا اذا
دعاهم بعد الموت بمثل ذلك **رجالا** اي مشاة على ارجلهم جمع راجل
كقايم وقيام **وركبانا على كل ضامر** اي بعير مهزول وهو يطلق على
الذكر والانثى تنبيه على كل ضامر حال معطوف على حال كانه قال رجالا وركبانا
وقوله تعالى **ياتين** صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع **من كل فج** اي طريق
واسع بين جبلين **عميق** اي بعيد روى سعيد بن جبير باسناده عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحاج الراكب له بكل خطوة يخطوها

راحلة

٣٢

راحلة سبعون حسنة وللماشي سبعماية من حسنات الحرم قيل يا رسول
الله وما حسنات الحرم قال كل حسنة بماية الف حسنة وفي هذا دلالة
على ان المشي افضل من الركوب وفي ذلك خلاف بين الايمة محله كتب الفقه
ولما كان الانسان ميالا الى الفوايد مستشرفا الى جميل الفوايد علل
الاتيان بما يرغبه سبحانه من فضله ما يقصده من امر المعاش بقوله تعالى **ليشهدوا**
اي يحضروا وحضورا تاما **منافع لهم** واختلف في تلك المنافع فبعضهم
حملها على منافع الدنيا وهي ان يتجروا في ايام الحج وبعضهم حملها على منافع الاخرة
وهي العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو كما قال الرازي
اولى فياتون لتلك المنافع يتنقلون من مشعر من مشاعر الحج ومن مشهد الى
مشهد مجموعين بالدعوة خاشعين بالهيبة خايفين من السطوة راجين
المغفرة ثم يتفرقون الى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم كالسائرين
الى موقف الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين الى دار النعيم والجحيم فيا ايها الناس
المصدقون بان خليلنا ابراهيم عليه السلام نادى بالحج فاجابه بقدرتنا كرامة
له من اراد الله تعالى حجه على بعد اقطارهم وتنائي ديارهم ممن كان موجودا في
ذلك الزمان وممن كان في ظهور الابا والامهات الاقربين والابعدين صدقوا
ان الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور يجيبه كل من كان على ظهرها ممن حفظنا
له جسده او سلطنا عليه الارض فمزقناه حتى صار ترابا وما بين ذلك لان
الكل علينا يسير قال الزمخشري وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان
يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادة كلها لما شاهد
من تلك الخصايص ولما كانت المنافع لا تطيب ولا تتم الا بالتقوى وكان الحامل
على التقوى ذكر الله تعالى قال تعالى **ويذكروا اسم الله** اي الجامع لجميع الكمالات
بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره وقيل كنى بالذكر عن الذبح لان ذبح المسلمين لا
ينفك عنه تنبيها على ان المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه واختلف
في الايام المعلومات في قوله تعالى **في ايام معلومات** فالذي عليه اكثر المفسرين
وهو اختيار الشافعي وابي حنيفة انه عشر ذي الحجة واحتجوا بانها معلومة
عند الناس بحرصهم على علمها من اجل ان وقت الحج في اخرها ثم للمنافع اوقات
من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام ولتلك الذبايح وقت منها وهو يوم
النحر وعن ابن عباس انها ايام التشريق وقيل يوم عرفة الى اخر ايام التشريق
واستدل لهذا بقوله تعالى **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** وهي الابل
والبقر والغنم من الهدايا والضحايا اي يذكروا الله تعالى عند نحرها ونحر
الضحايا والهدايا تكون في هذه الايام وتقدم الكلام على الايام المعدودات
في سورة البقرة عند قوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات وقوله تعالى
فكلوا منها اي من لحومها امر اباحة وذلك ان الجاهلية كانوا لا ياكلون